معلومات البحث
تاريخ الاستلام: 2023/02/13
تاريخ القبول:2023/06/15
Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

جدلية الأنا و الآخر في رحلة طه حسين "في الصيف"

The Dialectic of the Ego and the Other in Taha Hussein's Trip "In the Summer"

شبال سميرة
المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة
الشيخ العلامة مبارك بن مُحَّد إبراهيمي الميلي الجزائري (الجزائر)،
chebel.samira@ensb.dz

الملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز طبيعة العلاقة بين الأنا و الآخر من خلال رحلة طه حسين الصيفية إلى باريس التي كان يستذكر فيها جمال الآخر و إيجابيته سواء على المستوى الفكري أو الاجتماعي أو العقائدي أو الفني و في المقابل سلبية الأنا و عيوبها و تارة أخرى يعكس الآية و لكن بنسبة أقل.
و غالبا ما كانت تلك الجدلية تشعره بالإرهاق و القلق و تدفعه إلى العزلة و الانطواء على الذات لذا كان يفضل الجلوس بمفرده رفقة قلمه حتى يتأمل في واقعه و ماضيه و يقارن بين الأنا الشرقي الذي ينتمي إليه والآخر الغربي المنبهر به.
الكلمات المفتاحية: الأنا ، الآخر ، الجدلية ، العزلة ، المقارنة

ABSTRACT
This research paper aims to highlight the nature of the relationship between the ego and the other through Taha Hussein's summer trip to Paris, in which he recalled the beauty of the other and its positivity, whether on the intellectual, social, ideological or artistic level, and on the other hand, the negativity of the ego and its defects, and sometimes he reflects the image, but to a slightly low. This dialectic often made him feel exhausted and anxious and pushed him to isolation and introversion, so he prefered to sit alone with his pen in order to scrutinize on his reality and his past and compare between the eastern ego to which he belongs and the western one that is fascinated by it
key words : The Ego, the Other, Dialectic, Isolation, Comparison

مقدمة :

خلق الله تعالى الذكر و الأنثى و الشعوب و القبائل ليتعارفوا، و عليه لم يكن بإمكان الذات الفردية أن تعيش بمعزل عن الآخر و لكنها كلما احتكت به أدركت حقيقة ذاتها، و كنهها أكثر وكلما تحدد موقفها من الآخر سواء بالانبهار أو بالعداء أو بالرهاب أو بالتعايش و التسامح .

لقد كان طه حسين من بين الأدباء الذين احتكوا بالعالم الغربي و ذلك من خلال سفره إلى باريس من أجل مواصلة دراسته الجامعية و كان أول ما حط الرحال بها قال عنها أنها بلاد الجن و الملائكة نظرا لانبهاره الشديد بها، وبهذا يحدث أول صدام بينه و بين الحضارة الغربية الذي انعكس في جل أعماله الإبداعية و هذا ما قادني إلى طرح الإشكالية التالية :

كيف كانت نظرة طه حسين للآخر و في المقابل كيف كان موقفه من ثقافته الأم (الأنا) ؟ و لماذا ؟

و منها انبثقت مجموعة من التساؤلات الفرعية و المتمثلة فيما يلي:

ما مدى انبهار طه حسين بالحضارة الغربية ؟ ثم هل توصل إلى الخروج من ذلك الحال من الانبهار بعدما ألف حضارة الآخر و تعايش معها أم لا ؟ و كيف أثر هذا الانبهار على نظرته لثقافة الأنا ؟ و هل انتقل ذلك إلى فكره ووجدانه و أحدث له صراعا داخليا بين الأنا و الآخر و ما عواقب ذلك على مخياله الفني والإبداعي ؟

و يكمن الهدف الأساسي من هذه الدراسة في إبراز طبيعة العلاقة بين الأنا و الآخر في رحلة طه حسين الصيفية إلى باريس.

و لدراسة هذا الموضوع انتهجت المنهج التحليلي الوصفي الذي يعتمد على تتبع كيفية تجسد صورة الآخر الغربي و علاقته بالأنا الشرقية في أعمال طه حسين وخاصة في مؤلفه في الصيف .

1. جدلية الأنا و الآخر في الثقافة العربية :

1.2.ثنائية الشرق و الغرب (الأنا و الآخر) :

قال أحد الدارسين معرفا مصطلح "الشرق" بأنه "مصطلح ابتدعته أوربا لكل أرض وراء حدودها شرقا إلى اليابان، بيد أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر قرون ليقتصر في مفهومه العام و الغامض أيضا على الشرق الأوسط و ما في هذا الشرق من أديان و ثقافات أو حضارات مختلفة. (السامرائي، 1403 هـ، صفحة 107) أما مفهوم "الغرب" فيتمثل في ثلة من الدول التي تتشكل منها قارة أوروبا عامة و أمريكا الشمالية و" ما يدور في فلك هذه الدول و ينهج نهجها في السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و التعامل الخارجي [...] و انقسم الغرب بدوره إلى الشرق و الغرب " (المعوش، 1998، صفحة 70) فأصبح هناك أوروبا شرقية تنتمي إلى المعسكر الشيوعي و غربية تابعة للرأسمالية .

هذا و لم تتوقف هذه التقسيمات الثنائية التي كانت تضع مختلف دول العالم في إطارات معينة أو في كتل محددة و من هنا أيضا يصادفنا ما يسمى بدول الشمال و دول الجنوب، الشمال "المتقدم و العدواني بشكل عام والجنوب المعدم المستغل المنهوب الثروات من قبل الشمال" (المعوش، 1998، صفحة 70).

أما في مجال الدراسات الأدبية المقارنة فقد شغلت الأبحاث المهتمة بالعلاقات المختلفة بين الثقافات الشرقية والثقافات الغربية عبر العصور و الأزمنة حيزا معتبرا فيها ، فهي تعمل جادة على تتبع الخطوات "النظرية والمنهجية ودراسة الأفكار الشائعة والساذجة والواعية حول الآخر وسبر منظوراتها ومنظوماتها الذهنية والوجدانية والإيديولوجية والعقائدية باستكناه أغوارها العميقة تفكيكا وتركيبا وفهما" (حمداوي، 2020، صفحة 32). ومن هنا تتجلى لنا مدى أهمية دراسة الصورة التي يكونها الأنا عن الآخر أو العكس و لاسيما عندما يكون الكاتب ممثلا حقيقيا لبلاده وعندما يكون قد مارس تأثيرا حقيقيا في أدب بلاده و الرأي العام فيها [...] وصورة بلد من البلدان في إطار مجموع أدب ما على مدى تطوره، غالبا ما تظهر تنوعا هو نتاج تطور البلد الذي نتناوله وتطور المتلقي في آن واحد" (بيشوا و روسو، 1998، صفحة 197).

هذا و غالبا ما نجد الجانب الذاتي يتدخل بشكل أو بآخر في هذه النوعية من الدراسات التي تتحكم فيها الخلفية الثقافية للأديب و طبيعة العلاقة بين وطنه الأم أي الأنا و بين الوطن الذي يكتب عنه أي الآخر وعليه لا يمكن لأي "أجنبي أن يرى بلدا كما يريد أهله أن يراه، بمعنى أن العناصر التأثيرية تفوق العناصر الموضوعية" (شحات، 2010، صفحة 11).

و تعمل الدراسات المقارنة في إطار دراسة العلاقة الثنائية بين الشرق و الغرب أو الأنا و الآخر على استجلاء نظرة الأنا للآخر و طبيعة العلاقة بينهما ثم ما مدى إيجابية أو سلبية هذه العلاقة و هل هي قائمة على أساس المحبة والصداقة والتفاهم أو الاندهاش و الإعجاب الشديد أو يسودها العداء و الصراع الفكري والثقافي والعقائدي .

2.2. علاقة الشرق بالغرب (الأنا بالآخر) :

لم تكن الثقافة العربية تعيش بمعزل عن الثقافات الأخرى منذ العصور القديمة ، لقد كانت مكة أثناء العصر الجاهلي " مركزا تجاريا ودينيا وسياسيا يستقطب كل القبائل في الجزيرة العربية وتنطلق منها السياسات العامة الاقتصادية والفكرية " (المعوش، 1998، صفحة 72)، كما كانت تربطها علاقات مع الدول و الأمم المجاورة و الكبيرة حينذاك أمثال الدولة الفارسية والبيزنطية والأثيوبية و اليونانية والرومانية و غيرها ، "لقد نشط العرب في التجارة الخارجية بين القارات إما باعتبارهم ناقلين لها أو أدلاء قوافل أو حماة لها و أدى ذلك إلى تبادل لغوي وفكري وديني بين العرب والشعوب المجاورة " (المعوش، 1998، صفحة 72) مع الملاحظة أن هذه العلاقات كان يسودها التفاهم و التحالف حينا وحينا آخر الخصام والعداء .

هذا وقد تعرضت الثقافة العربية عبر العصور إلى ثلاثة صدامات كبرى و يتمثل أولها في التفتح الأكبر الذي شهدته الحضارة العربية في العصر العباسي- العصر الذهبي للثقافة العربية - على مختلف الثقافات و كان علماؤها يقبلون بنهم على مختلف العلوم والمعارف و كان المترجمون ينقلون أهم الكتب الفلسفية و العلمية إلى اللغة العربية كما سمحت الفتوحات الإسلامية آنذاك بنشر اللغة العربية في مختلف الأقطار كبلاد الفرس والأتراك مما جعل العديد من علمائها يؤلفون باللسان العربي أمثال ابن سينا والفارابي والخوارزمي والرازي وغيرهم .

و كذا أثرى الأدباء الأعاجم الأدب العربي بكتاباتهم وترجماتهم وأشعارهم و نذكر على سبيل المثال ابن المقفع الذي ترجم كتاب "كليلة ودمنة " إلى اللغة العربية و كان له الفضل في إدخال فن الخرافة إلى الأدب العربي ومن ثم أقبل الأدباء العرب بشكل ملحوظ على هذا الفن الأدبي الجديد و قاموا بمحاكاته و الكتابة على منواله إضافة إلى التجديد الذي أدخله كل من أبي نواس وابن الرومي على القصيدة العربية حينذاك.

لقد فسح ذلك التفتح المجال واسعا أمام مختلف الأجناس و الأعراق و سمح لهم بالدخول إلى البلاد العربية ولكن نظرة العرب الاستعلائية لهم و اعتدادهم بأنسابهم أمامهم وتحقيرهم باستمرار ولد في قلوبهم الحقد والضغينة تجاه العرب مما أدى إلى استفحال النزعة الشعوبية التي "بدأت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وبقيت مستترة طوال العصر الأموي حتى إذا نجح العباسيون في إنشاء دولتهم و استخدموا الموالي واستعملوهم في المراكز الهامة وأسندوا إلى بعضهم مسئولية الحكم وأطلقوا لهم الحرية، أحسوا بذواتهم وتسلطت عليهم النزعة القومية فقويت حركة الشعوبية بينهم وتصاعد خطرها " (عطوان، 1984، صفحة 149).

لقد كرس أبو عثمان الجاحظ قلمه للرد على هذه الحركة و تطرق إليها في العديد من مؤلفاته و من بينها كتابا "الحيوان" و"البيان والتبيين" و"رسالة النابتة "و"رسالة فضل السودان على البيضان" وغيرها، لقد خصص قسما من الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين لهذا الغرض و أسماه بكتاب العصا و من بين ما ورد فيه "...أعلم أنك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية و لا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم [...]و لو عرفوا أخلاق أهل كل ملة و زي أهل كل لغة وعللهم، على اختلاف شاراتهم[...]وهيئاتهم [...]ولخفة مئونتهم على من خالطهم". (الجاحظ، 1998، صفحة 29، 30).

أما الصدام الثاني فقد تحقق بالفتوحات الإسلامية لبلاد الغرب و لقارة أوروبا و بالذات بلاد الأندلس التي أشرقت بعلومها و معارفها المختلفة على الثقافة الغربية التي كانت غارقة في الجمود الفكري و العقم الروحي أثناء فترة العصور الوسطى، لقد انبهر الأوروبيون عامة بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس فكانت مواكب من المتعطشين للعلم و المعرفة يقبلون بكثرة على مختلف المراكز العلمية في جنوب أوروبا ليرووا ظمأهم ويتخلصوا من رداء الجهل

والتخلف الذي فرض عليهم عنوة، وهكذا إلى أن خرجوا من عصر الظلمات إلى نور النهضة لينطلقوا بكل قوة و ثقة نحو التطور و الازدهار .

و أما الصدام الثالث بين الشرق و الغرب فكان من خلال حملة نابليون بونابرت على مصر في أواخر القرن الثامن عشر أي في عام 1798 ، و قد أحدثت هزة عنيفة في العالم العربي الذي كان غارقا في سبات عميق أثناء عصر الانحطاط الذي دخل فيه بعد سقوط الدولة العباسية .

لقد مكنت هذه الحملة العرب من التعرف على الطباعة التي أسهمت في ظهور الصحف باللغة الفرنسية في بداية الأمر و لكن سرعان ما أمضى الجنرال مينو المرسوم الذي يقتضي بإنشاء صحيفة باللغة العربية ، و لكن أوضاع البلاد السيئة حالت دون ذلك (السروجي، 1998، صفحة 89).

إلى جانب الطباعة أحضر نابليون معه بعض الفرق المسرحية التي كانت تقدم عروضها في حدائق القصور ومن هنا فكر الفرنسيون في بناء دور للعروض المسرحية فقاموا بتشييد دار الأوبرا بالقاهرة إضافة إلى مجموعة من المسارح الأخرى (الشلق، 2002، صفحة 91).

وعليه يمكننا القول أنه رغم سلبيات هذه الحملة إلا أنها أسهمت في تعريف المجتمع المصري ببعض الأشكال من المدنية الغربية الحديثة من صناعات جديدة لم يكن يعرفها العرب حينذاك، و في ترجمة روائع الأدب العالمي إلى العربية حتى يتعرف عليها القارئ العربي و قد أسهم ذلك بنسبة معينة في ظهور الفن القصصي بأنواعه المختلفة.

و لم يتوقف التأثير الفرنسي عند هذا الحد بل تواصل رغم مغادرة الفرنسيين للأراضي المصرية و كان ذلك عن طريق إرسال البعثات الطلابية إلى فرنسا لمواصلة تعليمهم في جامعاتها و معاهدها و بهذه الوسيلة تفتح العرب في العصر الحديث على الثقافة الفرنسية التي شهدوها عن كتب وسمعوها أو اطلعوا عليها بلغتها الأصلية مما جعل معظمهم ينبهر بأدبها و بمختلف معالم حضارتها إضافة إلى بعض الأفكار و العادات، مما جعل المثقفين العرب ينقسمون إلى قسمين ويختلفون في كيفية إحياء الثقافة العربية من جديد :لقد كان القسم الأول منهم يتشكل من الطلبة المتشبعين بالثقافة العربية الأصيلة و كانوا يدعون إلى إعادة بعث الثقافة العربية عن طريق الرجوع بها إلى عصورها الذهبية، و أما القسم الثاني منهم فكان يتكون من الطلبة الذين تشبعوا بالثقافة الغربية و كانوا يدعون إلى ضرورة التفتح على الحضارة الأوروبية و محاكاتها لأنها السبيل الوحيد للالتحاق بركب الدول المتطورة، و بهذا انقسم العرب حينذاك إلى رافض لهذه الفكرة و إلى مؤيد لها بسبب موقف كل منهما من الثقافة الغربية التي تمثل ثقافة العدو المحتل بالنسبة للفئة الأولى وثقافة التطور و التحضر بالنسبة للفئة الثانية .

3.2 الأنا و الآخر في الرواية العربية :

يعد الفن القصصي من الفنون الأدبية الدخيلة على الثقافة العربية في العصر الحديث و قد ولد نتيجة الاحتكاك بين الثقافتين الغربية والعربية، و قد سعت الرواية على وجه الخصوص و منذ بداياتها الأولى إلى تجسيد ثنائية الأنا والآخر عبر موضوعاتها و العلاقة بين شخصياتها و"مجموعة من الرؤى و الأنماط والصور المتقابلة سواء أكانت سلبية أم إيجابية، تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب[...] و ثنائية التقدم والتخلف وثنائية العلم والجهل وثنائية المادة والروح (حمداوي، 2020، صفحة 9).

لقد كان الخطاب الروائي العربي المجسد للأنا و الآخر يواكب التطورات التي كانت تعرفها طبيعة العلاقة بين المجتمعات الشرقية العربية بالمجتمعات الغربية، فأول ما فتح المبدع العربي عينيه على الحضارة الأوروبية أصيب بحالة من الدهشة و الانبهار بكل ما كان يراه من عمران و وسائل المواصلات كالباخرة و القطار و مختلف الآلات والاختراعات بفضل الثورة الصناعية التي بلغت أوجها آنذاك، لذا كانت معظم الروايات تمجد الحضارة الغربية وغالبا ما كانت تقارن بين واقعها المزري حيث لا تزال مجتمعاتها تعيش بالطرق الشبه بدائية ، و من بين هذه الروايات نذكر رواية رفاعة الطهطاوي بعنوان تخليص "الإبريز في تلخيص باريز" و قد نشرت لأول مرة عام 1834 و قد كان الطهطاوي يمثل المرشد الديني الذي أوصى به الشيخ حسن العطار مُحَمَّد علي باشا حتى يرافق البعثات الطلابية المصرية إلى فرنسا ، وقد كان إعجابه بتلك البلاد شديدا فقرر تسجيل تلك اللحظات الرائعة و تخليدها من خلال عمل فني، لقد كان الطهطاوي يتمعن في وصف جغرافيتها و حضارتها ومعارفها وعلومها وفنونها وأنظمتها السياسية والدستورية والإدارية وكان يبدي إعجابه الكبير بسكانها وأخلاقهم ومنازلهم وأناقتهم وعاداتهم، لقد كان هذا العمل عبارة عن " رحلة روائية تعليمية تثقيفية سفارية تطرح رؤية انبهارية قائمة على تمجيد العقلية الفرنسية بالإشارة في الوقت نفسه إلى تخلف العقلية الشرقية وانحطاط الواقع العربي الإسلامي على جميع الأصعدة والمستويات" (حمداوي، 2020، صفحة 10).

و في مطلع القرن العشرين و مع عودة المجموعات الأولى من الإرساليات الطلابية إلى أوربا بدأت نوعية جديدة من الروايات أرقى و أجود من مثيلاتها في القرن التاسع عشر تظهر إلى الوجود مثل رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل عام 1913 وروايات طه حسين : "الأيام "التي نشرت عام 1929 و"دعاء الكروان" في 1934 و"أديب" في 1935 و"المعذبون في الأرض "في 1950 وغيرها من الأعمال، إضافة إلى رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم في عام1938 و "قنديل أم هاشم " ليحي حقي في 1944 .

لقد كان لهؤلاء الأدباء احتكاك مباشر بالحضارة الغربية إذ عاشوا فيها وتعلموا لغتها ودرسوا في جامعاتها وترددوا على مسارحها و قرئوا كتبها و تعرفوا على شعوبها و عاداتهم و اكتشفوا الذهنيات السائدة فيها لذا لم يكن إعجابهم بها يصل إلى درجة الهوس مثل سابقيهم بل "تنبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا وتقنيا وعلميا وثقافيا وفنيا ولكنهم تنبهوا أيضا إلى قيمة الشرق وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وشرقيته" (حمداوي، 2020، صفحة 12)، و هذا لا يعني عدم إعجابهم بحضارة الآخر الغربية بل أصيبوا بصدمة

الحداثة والتغيير الجذري و لكنهم سرعان ما استفاقوا من حالتهم تلك " ليتعرفوا على حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا عقديا و قيميا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا [...] وأن لكل بيئة مقوماتها الخاصة فالشرق شرق والغرب غرب " (حمداوي، 2020، صفحة 12)، و هذا ما يسمى بالرؤية الحضارية.

و هناك من الأدباء العرب الذين طرحوا قضية العلاقة بين الحاكم و الرعية على مختلف الأصعدة و كذا الحريات العامة والخاصة و حقوق الإنسان في أوطانهم و في العالم الغربي و لم يتمكنوا من تجنب المقارنة بين أوضاع المواطن العربي في بيئته و في البيئة الغربية، فاعتبروا "الغرب مكانا للحرية الحقيقية، وفضاء للحرية والديمقراطية وحضنا حميما لحقوق الإنسان، وملجأ سياسيا خيرا للاحتماء من الاستبداد العربي والوقاية من رعبه وقهره وعنفه[...]و الهروب قسرا واضطرارا من بلدان الطغيان السياسي والجبروت السلطوي نفيا وتحررا وانعتاقا واستقرارا" (حمداوي، 2020، صفحة 19، 20)، و من أهم الروايات التي جسدت موضوع العلاقة بين الشرق الديكتاتوري و الغرب الديمقراطي، رواية "شرق المتوسط" لعبد الرحمن منيف و رواية "نجمة أغسطس" لصنع الله إبراهيم و "رحلة الربيع والخريف" ل حنا مينه وغيرها من الأعمال .

بينما هناك من أدباء المشرق من كانوا ينقمون على الآخر ويبدون له النظرة العدائية الرافضة له ولسياسته ويتجلى ذلك في المجتمعات التي تعرضت للسياسات الاستعمارية الغربية الجائرة التي سلبت الشعوب العربية ممتلكاتها وحرمتها من أبسط حقوقها وشردتها ونكلت بها، وقد جسدت العديد من الروايات الجزائرية هذا الموقف العدائي وكذا الروايات الفلسطينية نظرا لوقوعها تحت نير المحتل الإسرائيلي الظالم و من أهم هذه الأعمال نذكر رواية "الرحلة الأصعب" لفدوى طوقان و رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني .

ومن خلال ما سبق، نستخلص أن موقف الروائيين العرب تجاه الآخر كان يتأرجح بين الانبهار والهوس فالتسامح و التعايش ثم الرهاب والرفض وهذا حسب الحقبة الزمنية التي يتواجد فيها وحسب الأوضاع المعيشية سواء في بيئة الأنا أو الآخر.

لقد كان طه حسين أحد هؤلاء الأدباء الذين تنقلوا بين البيئتين الشرقية حيث ولد وترعرع والغربية حيث أمضى جزءا من شبابه وكهولته أثناء فترة الدراسة ثم العمل فالرحلات السياحية، لقد كان مواكبا لمختلف الأوضاع التي كانت تشهدها تلك البيئتين وقد تأثر كثيرا بطبيعة العلاقة بينهما وانعكس ذلك على نفسيته و أعماله فيما بعد.

2. جدلية الأنا و الآخر عند طه حسين :

يعد طه حسين من أهم النقاد والمبدعين العرب في العصر الحديث و قد لقب بعميد الأدب العربي ، ولد في14 نوفمبر 1889 بإحدى قرى صعيد مصر (البازغي و الرويلي، 2002، صفحة 358)، وأصيب أثناء طفولته بداء في عينيه و حاول أهله معالجته بالوسائل التقليدية مما أفقده بصره إلى الأبد، وهذا ما يعكس المستوى العلمي والفكري ودرجة التخلف و الجهل الذي كان يعاني منه المجتمع العربي و لاسيما سكان القرى حينذاك.

وكان طه حسين يعيش في أوضاع صعبة للغاية إذ كان الطفل السابع من بين ثلاثة عشر طفلا ولكن لم يزده ذلك إلا إصرارا على التصدي لكل العقبات و الصعوبات التي كانت تعترض سبيله وقرر أن يتجاوزها و أن يصل إلى تحقيق مبتغاه والخروج منها منتصرا .

لقد كانت المدرسة القرآنية أول مدرسة تستقبله في حياته و منها انتقل إلى مستويات دراسية أعلى إلى أن التحق بالأزهر وتتلمذ على يد الإمام محمد عبده الذي "علمه التمرد على طرائق الاتباعيين من مشايخ الأزهر، فلم يوفق فيه وانتهى به الأمر إلى الطرد منه واللجوء إلى الجامعة المصرية التي تحصل منها على درجة الدكتوراه الأولى في الآداب سنة 1914 عن أديبه الأثير أبي العلاء المعري". (حسين، 1963، صفحة 230). و لم يتوقف مسار طه حسين الدراسي عند هذا الحد بل كان يطمح إلى أكثر من ذلك فسافر إلى فرنسا فور حصوله على منحة دراسية ونجح في تحضير رسالة دكتوراه ثانية بجامعة السربون حول عبد الرحمن بن خلدون و في عام 1919 عاد إلى الأراضي المصرية حيث عمل في سلك التدريس بجامعة القاهرة كما تبوأ العديد من المناصب العليا في بلده، ولم يمنعه ذلك من ممارسة الكتابة الأكاديمية و الإبداعية معا،و له العديد من المؤلفات النقدية والتاريخية إضافة إلى مجموعة من القصص والروايات التي يجسد جلها جدلية الأنا و الآخر التي انغرست في أعماق وجدانه و باتت جزءا من تفكيره .

لعل المتمعن في أعمال طه حسين يدرك مدى رفضه لعادات و تقاليد مجتمعه البالية التي تمنع الإنسان من الوعي و الإدراك لكل ما يمنعه من الخروج من تلك البؤرة المظلمة .

لقد "جمع طه حسين بين القديم والجديد في الأزهر و الجامعة، فجمع بين الأصالة في الأزهر وبين مناهج البحث التي تلقاها على أيدي المستشرقين من خلال محاضرات كارلو نللينو من تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي وفيما كان يلقيه سانتلانا من محاضرات عن الفلسفة الإسلامية و غيرها (مرزوق، 1994، صفحة 462)، كما تأثر طه حسين في اتجاهاته النقدية بمجموعة من نقاد الغرب أمثال تين و سانت بوف و غوستاف لانسون وغيرهم كما تأثر بالشك الديكارتي وموضوعية ابن خلدون مما جعله موضوعيا في معظم دراساته (مرزوق، 1994، صفحة 468).

أما فيما يخص أعماله الإبداعية فهي"مزيج من العوامل الاجتماعية التي يفرزها المجتمع والمؤثرات الذاتية التي يكتسبها الأديب" (عكاشة، 1994، صفحة 121)، لقد حاول طه حسين في دراسته التي خصصها للشعر الجاهلي أن ينتهج منهج الشك الديكارتي الذي يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة و يتجلى ذلك في قوله:"إن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل و أن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما" (حسين، 2010، صفحة 22)، وفي كتابه "في الأدب الجاهلي " كان يدعو إلى ضرورة إصلاح مناهج تعليم اللغة و الأدب العربي في الجامعات المصرية والتخلي عن المناهج البالية التي تجاوزها الزمن ولم تعد نافعة و ينادي بضرورة تعلم مختلف اللغات الأجنبية في سبيل فهم الأدب العربي و مقارنته بغيره من الآداب الأخرى ويقول في هذا السياق : "كيف السبيل إلى أن يدرس الأدب العربي درسا صحيحا إذا لم تدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية

واللغات السامية [...]و هل هناك سبيل إلى أن يدرس الأدب العربي دون أن تفهم التوراة و الإنجيل ؟[...] وكيف السبيل إلى درس الأدب العربي إذا لم ندرس اللغة اليونانية و اللاتينية و آدابهما و لم نتبين مقدار ما كان لحضارة اليونان والرومان من تأثير في أدبنا وفلسفتنا وعلمنا . (حسين، 1933، صفحة 12) وبهذا يتجلى أمامنا سعة أفق طه حسين وتفتحه على مختلف الثقافات دون أي تزمت أو تعصب لثقافة الأنا التي لا يمكننا أن نفهمها حق الفهم إلا إذا وضعت أمام ثقافة الآخر الذي يكون قد أثر فيها أو أثرت فيه .

و أما لو عدنا إلى إبداعاته الأدبية و بالذات إلى رواية "أديب"التي تجسد الجدلية القائمة بين الأنا و الآخر من خلال مقارنته بين التخلف و التطور ثم بين الجهل و التطور و الرقي، لقد تعلق الأديب ببريق باريس و بهرجها السطحي والخارجي و ارتمى في حضنها حتى يشبع نهمه و تعطشه بكل تلك المغريات غير الموجودة في موطنه وبيئته (حسين، 1998، الصفحات 180-185)، لقد تاه الأديب في فرنسا"وضاع فيها ضلالا و تيها وانحرافا فقد فشل في الحصول على الشهادة التي تؤهله علميا ومعرفيا بسبب انبهاره بالقيم الأوروبية الجديدة [...]فلم يأخذ الأديب من الغرب سوى القشور وسفاسف الأمور و الانغماس في ملذات الحياة " (حمداوي، 2020، صفحة 13)، وفي روايته الأوتوبيوغرافية " الأيام" قابل طه حسين بين الحضارة الغربية المزدهرة و بين الجهل والتخلف السائد في بيئته .

بناء على ما سبق، نصل إلى أن طه حسين يرى" أن الغرب هو مفتاح التقدم الحضاري و الازدهار العلمي والفني ومستقبل الحضارة المصرية بمراعاة خصوصية عوائد الشرق وأعرافه وتقاليده وقيمه الدينية الأصيلة" (حمداوي، 2020، صفحة 13).

3. جدلية الأنا و الآخر في الصيف لطه حسين :

يعتبر كتاب "في الصيف " لطه حسين من بين الكتب التي خصصها المؤلف لسرد تفاصيل رحلته من مصر إلى باريس لقضاء عطلة الصيف رفقة ابنيه و زوجته الفرنسية.

1.4. طه حسين و ثقافة الأنا :

يستهل المؤلف عمله هذا بمشهد يصف فيه حال القلق التي تنتاب المسافر قبل سفره إضافة إلى أجواء الصيف الحارة جدا في النهار والثقيلة و الرطبة في الليل مما كان يزيده توترا، لقد كانت لحظات انتظار القطار الذي سيقودهم إلى الإسكندرية حيث الباخرة التي ستوصلهم إلى فرنسا جد مملة ، وكانت ساعة توديع الأصدقاء جد صعبة كما كان لكلمة "إلى اللقاء" وقعا خاصا على نفسيته و كانت تزيد من قلقه، فهي عادة ما تحمل كل معاني التفاؤل و الأمل في اللقاء مجددا و لكنها كانت تشعره بالنهاية و بالوداع الأخير مما كان يزيد من حزنه وأساه، ومن ثم ينتقل إلى الحديث عن فصل الصيف فصل الراحة من عناء العمل و هو لحظة الالتقاء مع الذات والنفس الداخلية و الخلود إليها للاستماع إلى كل انشغالاتها و شكواها وحيرتها وعتابها فهو وقت للخلوة والابتعاد عن الجموع والضوضاء ولكنه سرعان ما كان

يسأم منها ويرغب في الابتعاد عنها حتى يرتاح وكانت أفضل وسيلة لذلك هي المطالعة لأنها الأكثر نفعا (حسين، 2013، صفحة 7،8).

لقد شرع البطل في حديثه عن الأنا والآخر وهو في الباخرة و يتجلى ذلك في قوله:"فقضيت أيام السفينة في نوم وأكل وحديث وقراءة في التوراة " (حسين، 2013، صفحة 8)، ولعل أهم ما يلفت انتباهنا في هذا الحديث هو كون البطل مسلم وممن درسوا في المدارس القرآنية منذ حداثة سنه ثم انتقل إلى الأزهر لمواصلة دراسته في اللغة العربية والشريعة الإسلامية فكيف به يمضي وقته أثناء رحلته البحرية الطويلة بقراءة التوراة التي يقال عنها أنها محرفة و هي كتاب أنزله الله على نبيه موسى و قد توجه بها إلى الأمة اليهودية و ليس إلى العرب، و يبيح طه حسين ذلك حين يقول :"ليس من الضروري ولا من المحتوم أن تكون حبرا أو قسيسا أو شيخا من شيوخ الأزهر لتقرأ في التوراة أو الإنجيل أو القرآن، وإنما يكفي أن تكون إنسانا مثقفا له حظ من الفهم والذوق الفني لتقرأ هذه الكتب المقدسة" (حسين، 2013، صفحة 8).

لقد أثار طه حسين هنا قضية مستفزة و شائكة خاصة في المجتمع المصري حيث كان الفكر الأزهري المتزمت والرافض لقراءة أي كتاب ديني غير القرآن لأنه هو الأصح ، لقد تعمد طه حسين التطرق إلى هذا الموضوع والدعوة لترك تلك الأفكار الرجعية التي لا تخدم الثقافة العربية بل و تمنعها من الانفتاح على الثقافات الأخرى بغرض الاستفادة منها، فهو هنا ينادي بالتفتح على ثقافة الآخر و عدم الخوف منها ، فهذه الكتب و ما شابهها متاحة للكل و يمكن للكل الإقبال على قراءتها دون الشعور الديني حتى يجدوا متعة وجمالا لأنها تتوجه إلى الفكر الإنساني و قلبه معا، ويرى الأمر نفسه فيما يتعلق بالمتعة الأدبية فليس "ضروريا أن تكون يونانيا أو رومانيا أو فرنسيا أو إنجليزيا أو ألمانيا لتجد اللذة الأدبية عند هوميروس أو سوفوكليس أو فرجيل أو هوجو أوشكسبير أو جوت، و إنما يكفي[...] أن يكون لك حظ من ثقافة و فهم و ذوق لتقرأ و تلذ

وتستمع[...]كذلك لم تُقصر التوراة على اليهود و لا الإنجيل على النصارى و لا القرآن على المسلمين، و إنما هي كتب دين من ناحية و مظاهر للأدب و الفن و البيان من ناحية أخرى فهي من ناحيتها الدينية من قسمة اليهود و النصارى و المسلمين و هي من ناحيتها الفنية متاع للإنسانية كلها" (حسين، 2013، صفحة 9).

ثم يرى أنه لو لم يطلع الأدباء و الشعراء على مختلف هذه الكتب لما توصلوا إلى إنتاج أعمال أدبية رائعة ،ثم يتساءل عن " الحبر أو القسيس أو الراهب الذي تأثر بالعهدين القديم و الجديد ، فأنتج مثل ما أنتجه فيكتور هوجو حين قرأهما و تأثر بهما ؟" (حسين، 2013، صفحة 10) ثم يواصل فكرته بتأكيده على ضرورة إتاحة الفرصة للقراء للإدلاء بآرائهم حول هذه الكتب المقدسة و لكن دون السخرية أو المساس بالمقدسات ، ومن هنا يقوم طه حسين بطرح قضية التسامح و النظرة الموضوعية إلى الآخر دون أي حساسية ، فهو يؤكد إمكانية تواجدها في الواقع لأنها منتشرة في الثقافة الغربية إذ يستطيع أي شخص دراسة الكتب الدينية و غير الدينية والإدلاء بآرائه فيها سواء كانت

سلبية أم إيجابية ، أما في الثقافة العربية فقد كان للعرب قسط من الحرية في العصرين الأموي والعباسي إذ كانوا "يدرسون و يعلنون نتائج درسهم دون أن يتعرضوا لكثير من الخطر أو الأذى ، ولكنهم لم يكادوا يفقدون سلطان السياسة العربية حتى تورطوا في شيء من الجهل و الجمود حرمهم هذه الحرية و الصراحة وجعل حسهم فيما يمس الدين يصبح حادا رقيقا شديد التأثر، سريع الانفعال" (حسين، 2013، صفحة 11) .

لقد ربط طه حسين بين القوة السياسية و التفتح على الآخر إذ عندما يكون الأنا قويا و واثقا من ذاته فلا يجد أي مانع من فسح مجال للتفكير و للتعبير بكل حرية ، إذن كان سقوط العرب سياسيا و دخولهم في عصر الضعف و الانحطاط هو ما جعلهم ينغلقون على ذاتهم و ينعزلون عن الآخرين . و نظرا لخروج العرب من تلك الحقبة المظلمة وعزمهم على الالتحاق بركب الدول المتطورة يدعو طه حسين إلى ضرورة التخلص من كل أشكال الجمود و الانعزال والتفتح بكل قوة و جرأة على الآخر.

هذا و قد كان طه حسين و هو في السفينة يفكر في الأزهر و في كل ما عاشه فيه من لحظات سعيدة و أخرى تعيسة و صعبة و كان تارة يبتسم و تارة أخرى يغضب لقد اختلطت عليه مشاعره و تضاربت ، و لعل ما قاده إلى ذلك هو تنصيب الشيخ الجديد له و كذا المفتي الجديد للديار المصرية قبيل سفره فهو لم يتمكن من مقابلتهما وتهنئتهما لأنه كان يعرفهما و كم يتمنى أن يرى إصلاحات جديدة و فعلية بالأزهر على يد هذا الشيخ حتى تتحرر العقول و المناهج الدراسية من التعصب و الجمود لأنه و الشيخ الآخر ينتميان إلى جيل "يؤمن إلى حد التعصب بحرية الرأي و بُغض الجمود و وجوب الاجتهاد و تحطيم هذه الأغلال التي كانت تأخذ بأعناق الشيوخ و أيديهم و أرجلهم" (حسين، 2013، صفحة 22).

ثم كان يتساءل فيما إذا سيوفقان في مهمتيهما لأن طبيعة الحياة في مصر و في البلاد الإسلامية عامة تغيرت بصورة ملحوظة نظرا لتواصلها بالعالم الغربي ، و كم يتمنى لو يقدم الشيخان على قراءة ما يقرؤه العامة و أن يريا ويدركا ما يدركه الناس و أن "يقدرا نشاط رجال الديانات الأخرى في أنواع العلم على اختلافها و ضروب الأدب على تنوعها و صنوف الفن على تباينها حتى لقد زاحموا العلماء و الأدباء والفنيين و لست أغلو إن قلت إن من بذَ هؤلاء و تفوق عليهم" (حسين، 2013، صفحة 26)، فهو يرجو ألا ينغلق الشيخان على ذاتيهما أو داخل مجال تخصصيهما بل ينبغي أن ينزلا إلى الشارع و يحتكا بمختلف الشرائح الاجتماعية وأن يشعرا بالناس وأن يجتهدا في الدخول إلى عوالم لم يعتاداها و يكتشفا كل غريب عنهما عل ذلك يساعدهما على الاهتداء إلى الوسائل الملائمة و الناجعة للإصلاحات في مصر لأنه لا ينبغي أن يحيل الدين بين المؤمنين و مختلف النشاطات الفكرية و الفنية التي تسهم في دفع عجلة الأمة نحو التطور و الازدهار و لا يتسنى للدين أن يكون نافعا إلا إذا سمح للناس أن يتفتحوا و بشكل سليم على مختلف مجالات الحياة في عصرهم .

2.4 . طه حسين و ثقافة الآخر :

بعدما قدم لنا طه حسين نظرته إلى الواقع المصري و صرح بموقفه من رجال الدين في العالم الإسلامي و من الأزهر و شيوخه و طلبته، ينتقل إلى ثقافة الآخر من خلال ما عاشه في باريس أيام دراسته بجامعة السربون ثم عبر أسفاره العديدة و المتكررة إليها، لقد كان كلما زارها اكتشف تجديدات كثيرة تشمل مختلف مجالات الحياة كالعمران والفن والثقافة و العلوم و غيرها لذا كان طه حسين يتساءل عن باريس التي رآها هذا العام هل تشبه باريس التي رآها منذ عامين ؟ (حسين، 2013، صفحة 27).

لقد أعجب طه حسين فور وصوله إلى باريس بمختلف التغييرات التي طرأت على الأماكن التي اعتاد التردد عليها كما فُجيء بغياب بعض الأشخاص الذين كان يفتقدهم مثل عاملة النظافة التي كانت تعمل بالعمارة التي يقطن بها و بائع الخضر الذي كان يهوى المزاح و بائعة اللبن وغيرهم (حسين، 2013، صفحة 28) و لكن التغير الفعلي الذي أزعج هدوء المؤلف وشوش عليه خلوته وحاول مرارا تجنبه والهروب منه و لكن دون جدوى ، فحيثما ذهب اصطدم به فهو موجود في كل فرنسا و ليس في باريس فحسب كما كان صوته يُسمع من كل البيوت و الشوارع والمقاهي إنه المذياع ، و حسب طه حسين لقد انتشر "انتشارا مخيفا كما تنتشر الأمراض المعدية " (حسين، 2013، صفحة 28)، لقد شبهه بالمرض المعدي لأنه كان شديد الانزعاج منه و لكن في الوقت نفسه كان الوسيلة المثلى لنشر الفن و الموسيقى و العلم لقد بات بإمكان كل الناس أن يتعلموا ويستمعوا إلى التمثيليات و يعرفوا أخبار العالم و قد تحقق ذلك حسب المؤلف بفضل الديمقراطية التي كانت تسوي بين كل الناس في الحقوق و الواجبات .

لقد كان طه حسين شديد الإعجاب بالديمقراطية و بكل ما حققته ولاسيما بالنسبة للطبقات البسيطة من المجتمع و لكنه كان لا يفتأ يحذر من مخاطر تلك المساواة التي قد تؤدي إلى ظهور الشيوعية التي قد تقضي على الديمقراطية .

و بعد ذلك ينتقل طه حسين إلى الفن و الفنانين و ما يُقدم على مسارح باريس من عروض هزلية هدفها انتقاد رجال السياسة ابتداء من رئيس الجمهورية إلى الوزراء فالأساتذة و العلماء إلى غير ذلك ، و في هذا الصدد يقول طه حسين :"في هذا الملعب (المسرح) الصغير تُعرض عليك الحياة الفرنسية كلها : أدبها و سياستها وعلمها و تجارتها وزراعتها و طبقات الشعب المختلفة فيها ،على ألا يُظهر الممثلون من هذا كله إلا ما هو

خليق بالنقد ، حري أن يبعث الاستهزاء و السخرية " (حسين، 2013، صفحة 32)، و إلى جانب العروض الهازلة يخبرنا المؤلف أن باريس هي مدينة العلوم و الفنون المختلفة و يمكن لكل شخص أن يجد فيها ضالته حسب ذوقه و ميوله، إذ هناك الكوميديا الهادفة و الكوميديا السوداء و الموسيقى الراقية و الموسيقى الساقطة إلى غير ذلك و منها يقول :"في باريس الفرح و الابتهاج و فيها البؤس و الحزن و فيها الرجاء و الأمل و فيها اليأس والقنوط ، فيها اجتمع كل ما يحتاج إليه الناس و كل ما لا يحتاجون إليه ، فيها اجتمع كل ما يشخص الحضارة الإنسانية في هذا العصر الذي نعيش فيه" (حسين، 2013، صفحة 33).

و من هنا يبدو إعجاب طه حسين الكبير بباريس و بتنوع الفنون فيها ولاسيما الموسيقى و العروض المسرحية التي تشبع وترضي كل الأذواق ، و لم يتوقف المؤلف عن إبداء انبهاره بباريس عند هذا الحد بل شمل أيضا المعالم التاريخية و الآثار والمتاحف التي تحُدث الزائر عن ماضيها القريب أو البعيد و لكن لا يمكنه أن يدرك سحرها وجمالها ويشعر بالبهجة و الغبطة حين يتواجد أمامها إلا إذا كان على قدر معين من العلم و المعرفة (حسين، 2013، صفحة 34،35) .

زيادة على ذلك كان طه حسين يجد لذته في قراءة الصحف و المجلات و الكتب لأنها هي التي تعرف ببلدها وتسمح لنا بالتغلغل في أعماقه و إدراك كنهه و اكتشاف أسراره وخفاياه (حسين، 2013، صفحة 36).

و لعل ما أثار فضول طه حسين أكثر في فرنسا هو رغبته في التعرف على الفرنسيين ، لقد تمكن من الاقتراب منهم بشكل قوي وعميق إلى حد الفوز بإحدى بنات فرنسا زوجة له ، ومن خلال كتابه هذا حاول طه حسين أن يقدم لنا صورة للفرنسي و هو في بلده و وسط ذويه و صورة أخرى و هو مع غير الفرنسيين أو أثناء تواجده في بلد أجنبي .

يقول أنه ليس من اليسير على أي أجنبي أن يتصل بالفرنسيين و أن يكتشف وجههم الفعلي دون أي تصنع أو تكلف لأنهم جد حذرين فلا يظهرون للأجانب إلا ما يريدون إظهاره لهم ، و لعل السبيل الوحيد لاكتشاف الوجه الحقيقي للمجتمع الفرنسي هو الإمعان في قراءة الصحف و الكتب الفرنسية فهي الوحيدة الجديرة على فضح كل ما يجول في خلدهم من أفكار و مشاعر سواء اتجاه بعضهم البعض أو نحو حكامهم أو الشعوب الأجنبية عنهم ، زد على ذلك أنه لا يمكن قراءة الإصدارات الفرنسية بصورة جيدة و سليمة إلا في موطنها الأصلي وفي هذا الموضوع يقول طه حسين :"و مع أني أقرأ كثيرا من الآثار الفرنسية في مصر فإني أحب أن أقرأ الآثار الفرنسية في فرنسا و يُخيل إلي أني أفهمها في فرنسا على وجهها و لا أفهمها في مصر كما ينبغي أن تُفهم" (حسين، 2013، صفحة 37)، وبناء على هذا نستنتج أنه عندما نريد الإطلاع على إصدارات شعب من الشعوب بغرض التعرف عليه يستحسن التواجد في بيئته و الاحتكاك به حتى تتضح الرؤيا أكثر ومن ثم يمكننا الوصول إلى النتيجة المرجوة .

و من الحقائق التي توصل إليها طه حسين عن الفرنسيين أيضا، بحكم احتكاكه الطويل و العميق بهم سواء بفرنسا أم بمصر ، أن "الفرنسي في مصر متكلف ليس صريحا و هو لا يرسل نفسه على سجيتها ،فيه غطرسة ولكنه يخفيها إلى حد ما و فيه تملق و لكنه يجمله بعض الشيء ، هو صاحب منفعة قبل أي شيء آخر [...]، فإذا وصلت إلى فرنسا و استطعت أن تتصل بالفرنسيين الذين لا يرجونك و لا يخافونك و لا يقدرون أن يزوروا مصر أو أن تكون لهم منفعة ما ، فقد وصلت إلى الفرنسي حقا و استطعت أن تتحدث إليه و أن ترى نفسه كما هي [...] هذا الفرنسي صريح مسرف أحيانا في الصراحة، محب للغلو في كل شيء حين يتكلم لا حين يعمل " (حسين، 2013، صفحة 39)، و من هنا نتوصل إلى أن شخصية الفرنسي تتلون حسب المكان و المجتمع الذي يتواجد فيه ،فهو يظهر

على سجيته عندما يكون في وطنه ووسط ذويه و لكنه سرعان ما يرتدي قناعا عندما يجد نفسه في بيئة غريبة عنه، وبهذا ينجح طه حسين في تقديم الصورة الحقيقية للفرنسي ، وفي الأخير يقول :"عسير عليك أن تحب الفرنسيين في مصر و عسير عليك أن تكره الفرنسيين في فرنسا" (حسين، 2013، صفحة 40).

علاوة على ذلك ، كان طه حسين يقارن بين مستوى الصحافة في فرنسا و في مصر، وقد أبدى إعجابه الشديد بالصحف الفرنسية و اشمئزازه من الصحف المصرية فهو يرى أنه لا يوجد أي وجه للمقارنة بينهما ويتجلى ذلك في قوله :" لقد أقرأ الصحيفة الفرنسية فأجد في قراءتها متعة لا حد لها ثم تصل إلينا صحفنا المصرية فلا أكاد أمر بما فيها من العنوانات حتى أنصرف عنها انصراف المشمئز. في الصحف الفرنسية ثروة عقلية و متاع للنفس و الشعور" (حسين، 2013، صفحة 37)، ولعل الملاحظ هنا هو إيراد المؤلف للجوانب الإيجابية المتوفرة في الصحف الفرنسية بينما يكتفى بذم الصحف المصرية و لكن دون الكشف عن نقاط الضعف فيها و هنا يطغى الجانب الذاتي في نظرة طه حسين و موقفه من الآخر على حساب الأنا .

و يواصل المؤلف مسلكه في الاتجاه نفسه حين يتحدث عن الإصدارات الهائلة في مجال الكتب و إقدام المتلقي الفرنسي على القراءة بشكل يقل له نظير مما شجع المبدعين على التنافس في الإنتاج وفي المقابل يبدي أسفه عن حال الأدب و الإنتاج الأدبي في البلاد العربية (حسين، 2013، صفحة 38). ومن هنا نستنتج مدى تعصب طه حسين للثقافة الغربية التي تكاد تبدو له كاملة إذ كيف يمكن المقارنة بين مجتمع خرج من عصر الظلمات منذ أكثر من ثلاثة قرون و قد كانت كافية لاستعاد قوته و التمكن من بناء اقتصاد قوي و سياسة عالمية ، بمجتمع لم تتعد مدة استفاقته من عصر الانحطاط القرن من الزمن فهو لا يزال يبحث عن ذاته و عن كيفية انطلاقه فهو لم يبرح بعد مرحلة السكون.

هكذا كانت نظرة طه حسين إلى الآخر الغربي يسودها الإعجاب الشديد اللهم إلا في بعض القضايا القليلة والنادرة وهذا أمر بديهي لأن الأضعف دائما يسعى إلى اقتفاء خطى الأقوى.

4. خاتمة :

و من خلال هذا البحث حاولنا تسليط الضوء على طبيعة العلاقة التي جمعت بين الثقافتين الشرقية و الغربية عبر مختلف العصور و كيف اهتمت الرواية العربية بها منذ بداياتها و عملت على تجسيدها و الكشف عن تفاصيلها وحيثياتها، لقد تراوحت بين الانبهار الشديد و التحيز للثقافة الغربية التي فتحت أمام المثقف الشرقي آفاقا جديدة وعرفته على عوالم مجهولة لديه و لاسيما ما يتعلق بالجانب العلمي والتكنولوجي ثم الرفض و النظرة العدائية للآخر لأنه كان يمثل المحتل والمستولي على الممتلكات و السالب للحقوق و لكن هناك من حاول الجمع بينهما أي قام بالكشف عن سلبيات ثقافتي الأنا و الآخر و إيجابياتهما مع بعض الانحياز تارة إلى الأنا و تارة أخرى إلى الآخر و هذا ما سعى طه حسين إلى تجسيده من خلال مؤلفه "في الصيف".

لقد قدم لنا نظرته و موقفه من الثقافة الشرقية عبر طرحه لمجموعة من القضايا الجادة و الشائكة خاصة تلك المتعلقة بالدين و شيوخ الأزهر ودعا إلى ضرورة إجراء إصلاحات عميقة في العقليات البالية التي لن تزيد الأوضاع إلا تفاقما لو تُركت على حالها .

و قد دعا أيضا إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى دون عقدة أو حساسية و إلى قراءة مختلف الكتب ذات المستوى الراقي بغض النظر عن محتواها إذ الأهم أنها تلقن المتلقي القيم الإنسانية السامية.

هذا و قد كانت نظرة طه حسين لثقافة الآخر يسودها الانبهار و الإعجاب لكل ما رآه في فرنسا من مناظر طبيعية و عمران ومتاحف و آثار إضافة إلى المسارح و الجرائد و المجلات و الكتب التي كانت تعكس الواقع الفرنسي بكل أمانة و لا تفتأ تنتقد كل ما يستدعي النقد و لكن بهدف الإصلاح .

ولعل من أهم ما أورده طه حسين في مؤلفه هذا هو تقديم صورة حقيقية للفرنسي الذي لا يمكن التعرف على صورته الفعلية إلا عندما يكون في بيئته و وسط ذويه و ما عدا ذلك فهو يرتدي قناعا يخادع به من حوله من الأجانب الذين يجهلون حقيقته .

لقد قادنا طه حسين عبر رحلته هذه إلى عوالم مختلفة و بيئات متباينة في مستوياتها الفكرية و العلمية والفلسفية والفنية و الإبداعية ليبين لنا ما لهذه الثقافات و ما عليها و كيف يمكن استدراك عيوبها و نقائصها مع انحياز ملحوظ لثقافة الآخر .

و يبقى هذا البحث المتواضع مجرد بداية لفتح مغاليق موضوع الأنا و الآخر الذي يشغل حيزا معتبرا في مختلف أعمال طه حسين سواء الإبداعية منها أو الأكاديمية و أرجو أن يجد من الباحثين من يكشف لنا أكثر عن خفايا هذا الموضوع وأسراره.

5. قائمة المراجع :

1) البازغي سعد، الرويلي ميجان، (2002)، دليل الناقد العربي (ط3)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي.
2) الجاحظ أبو عثمان بن بحر، (1998)، البيان و التبيين (الجزء الثالث)، (ط7)، (تحقيق عبد السلام مُحَّد هارون)، القاهرة : مكتبة الخانجي .
3) السامرائي قاسم، (1403هـ)، الإستشراق بين الموضوعية و الافتعالية، الرياض:دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .
4) السروجي مُحَّد محمود، (1998)، دراسات في تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر، مصر: جامعة الإسكندرية .
5) الشلق أحمد زكريا، (2002)، الحرب و الدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 -1916 ، القاهرة: مصر العربية للنشر و التوزيع .

6) المعوش سالم، (1998)، صورة الغرب في الرواية العربية (ط1)، بيروت، لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع .
7) بيشوا كلود، روسو أندريه ميشيل، (1998)، الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
8) حسين طه، (1933)، في الأدب الجاهلي (ط3) ، القاهرة : مطبعة فاروق .
9) حسين طه، (1963)، تجديد ذكرى أبي العلاء (ط6)، مصر : دار المعارف .
10)حسين طه، (1998)، أديب ، مصر:مكتبة الأسرة .
11)حسين طه، (2010)، في الشعر الجاهلي، مصر : الدار المصرية اللبنانية .
12)حسين طه، (2013)، في الصيف ، مصر : مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة .
13)حمداوي جميل، (2020)، صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، مقاربة صورولوجية (ط1) الناظور ، المملكة المغربية : دار الريف للطبع و النشر الالكتروني.
14)شحات مُحَّد عبد المجيد، (2010)، صورة الآخر في الرواية :مدخل نقدي مقارن و تمثيلات روائية، مجلة البيان، الكويت، العدد (482)، الصفحة 11 .
15) عطوان حسين، (1984)، الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت، لبنان : دار الجيل.
16)عكاشة شايف، (1994)، نظرية الأدب في النقد التأثري العربي المعاصر، بن عكنون، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .
17)مرزوق حلمي، (1994)، تطور النقد و التفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين (ط1)، مصر :دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر .